(يعرفون نعمت ا ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون [83]) استئناف بياني لأن توليهم عن الإسلام مع وفرة أسباب اتباعه يثير سؤالا في نفس السامع : كيف خفيت عليهم دلائل الإسلام . فيجاب بأنهم عرفوا نعمة ا ولكنهم أ'رضوا عنها إنكارا ومكابرة . ويجوز أن تجعلها حالا من ضمير (تولوا) . ويجوز أن تكون بدل اشتمال لجملة (تولوا) .

ا نعمة يعلمون هم : والمعنى . قبلها ما على عطفها عدم تقتضي كلها الوجوه وهذه A E المعدودة عليهم فإنهم منتفعون بها ومع تحققهم أنها نعمة من ا ينكرونها أي ينكرون شكرها فإن النعمة تقتضي أن يشكر المنعم عليه بها من أنعم عليه فلما عبدوا ما لا ينعم عليهم فكأنهم أنكروها فقد أطلق فعل (ينكرون) بمعنى إنكار حق النعمة فإسناد إنكار النعمة إليهم مجاز لغوي أو هو مجاز عقلي أي ينكرون ملابسها وهو الشكر .

و (ثم) للتراخي الرتبي كما هو شأنها في عطف الجمل فهو عطف على جملة (يعرفون نعمة ا) وكأنه قيل : وينكرونها لأن (ثم) لما كانت للعطف اقتضت التشريك في الحكم ولما كانت للتراخي الرتبي زال عنها معنى المهلة الزمانية الموضوعة هي له فبقي لها معنى التشريك وصارت المهلة مهلة رتبية لأن إنكار نعمة ا أمر غريب .

وإنكار النعمة يستوي فيه جميع المشركين أيمتهم ودهماؤهم ففريق من المشركين وهم أيمة الكفر شانهم التعقل والتأمل فإنهم عرفوا النعمة بإقرارهم بالمنعم وبما سمعوا من دلائل القرآن حتى ترددوا وشكوا في دين الشرك ثم ركبوا رؤوسهم وصمموا على الشرك . ولهذا عبر عن ذلك بالإنكار المقابل للإقرار .

وأما قوله تعالى (وأكثرهم الكافرون) فظاهر كلمة (أكثر) وكلمة (الكافرون) أن الذين وصفوا بأنهم الكافرون هم غالب المشركين لا جميعهم فيحمل المراد بالغالب على دهماء المشركين فإن معظمهم بسطاء العقول بعداء عن النظر فهم لا يشعرون بنعمة ا فإن نعمة ا تقتضي إفراده بالعبادة فكان إشراكهم راسخا بخلاف عقلائهم وأهل النظر فإن لهم ترددا في نفوسهم ولكن يحملهم على الكفر حب السيادة في قومهم . وقد تقدم قوله تعالى فيهم (ولكن الذين كفروا يفترون على ا الكذب وأكثرهم لا يعقلون) في سورة العقود . وهم الذين قال ا تعالى فيهم في الآية الأخرى (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات ا يجحدون) .

(ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون [84]) الواو عاطفة جملة (يوم نبعث) الخ على جملة (فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين) بتقدير : واذكر يوم نبعث من كل أمة شهيدا . فالتذكير بذلك اليوم من البلاغ المبين . والمعنى :

فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين وسنجازي يوم نبعث من كل أمة شهيدا عليها . ذلك أن وصف شهيد يقتضي أنه شاهد على المؤمنين به وعلى الكافرين أي شهيد لأنه بلغهم رسالة ا .

وبعث شهيد من كل أمة يفيد أن محمدا A شهيد على هؤلاء الكافرين كما سيجيء عقبه قوله تعالى (وجئنا بك شهيدا على هؤلاء) وبذلك انتظم أمر العطف والتخلص إلى وصف يوم الحساب وإلى التنويه بشأنه .

وانتصب (يوم نبعث) على المفعول به للفعل المقدر . ولك أن تجعل (يوم) منصوبا على الظرفية لعامل محذوف يدل عليه الكلام المذكور يقدر بما يسمح به المعنى مثل : نحاسبهم حسابا لا يستعتبون منه أو وقعوا فيما وقعوا من الخطب العظيم .

والذي دعا إلى هذا الحذف هو أن ما حقه أن يكون عاملا في الظرف وهو (لا يؤذن للذين كفروا) قد حول إلى جعله معطوفا على جملة الظرف بحرف (ثم) الدال على التراخي الرتبي إذ الأصل : ويوم نبعث من كل أمة شهيدا لا يؤذن للذين كفروا... إلى آخره فبقي الظرف بدون متعلق فلم يكن للسامع بد من تقديره بما تذهب إليه نفسه . وذلك يفيد التهويل والتفظيع وهو من بديع الإيجار .

والشهيد : الشاهد . وقد تقدم نظيره عند قوله تعالى (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد) في سورة النساء .

والبعث : إحضاره في الموقف